اسطورة اطلنطس القديمة؟

وكانت أسطورة أطلنطِس Atlantis التي شغلت الباحثين منذ ذلك الحين وحتى تاريخه. ونبدأ من هنا حيث...
من خلال حوار بين كريتياس، قريب أفلاطون، وكلٍّ من تيميوس وسقراط، يتحدث تيميوس عن جده دروبيداس الذي سلَّمه مخطوطات وكتبَ حكمة قديمة تتحدث عن الأثينيين الأوائل. وقد وصلته هذه المخطوطات والكتب عن صولون Solon، الذي نقلها حين كان في مصر عن كاهن للإلهة نُتْ في مدينة سايس، أجابه على ما كان هذا الأخير يتحدث به عن الطوفان، قال:
... آه يا صولون، أتراكم معشر الإغريق ما زلتم أطفالاً إلى حدٍّ يجعلني أتساءل عن وجود شيوخ لديكم. ما زالت نفوسكم شابة. وليست لديكم أية فكرة تقوم على حكمة قديمة، ولا أي علم شاخ مع الزمن. فقد حصل دائماً، وسيحصل أبداً، دمار متعدد الأشكال يصيب البشر بسبب من نار أو ماء أو ألف علَّة أخرى...
ويكلِّم الكاهن المصري أيضاً صولون على الإلهة نُتْ، كما كلَّمه الأسلاف عليها، ويعلمه أنها هي نفسها الإلهة بالاس، راعية أثينا ومؤسِّستها قبل ما يقارب الـ9000 سنة من ذلك التاريخ (أو لنقل قبل 9600 سنة من ميلاد السيد المسيح)، كما أنها راعية مدينة سايس المصرية التي تأسست بعد أثينا بـ1000 عام.
ويكلِّمه أيضاً على التاريخ القديم والمتحول لأثينا التي تعرَّضت، في تاريخ لم يحدده، لغزو "قوة عظمى" قدمت من جزيرة تقع في المحيط الأطلسي قبالة "عمودي هرقل" (جبل طارق) وتدعى بأطلنطِس. وكانت هذه القوة قد غزت وحكمت في حينه كلاً من مصر وليبيا. لكنها فشلت في حينه في احتلال أثينا بسبب المقاومة الضارية للأثينيين.
وجزيرة أطلنطِس هذه (التي لم تكن سوى الجزيرة الكبرى، في حجم ليبيا، في أرخبيل كان يحيط بها) كانت عبارة عن إمبراطورية واسعة، كان أبناؤها يحكمون جميع تلك الجزر، بالإضافة إلى أراضٍ واسعة في القارة المقابلة. ولكن...
في مرحلة زمنية لاحقة، ونتيجة غضب الآلهة، حصلت هزَّات أرضية عنيفة وفيضانات جارفة. ففي يوم وليلة من أيام وليالي القدر، كان أن ابتلعت تلك الأرض أبناءها كما ابتلعت أثينا، وغرقت، بمن فيها، في غياهب المحيط.
وأرخبيل أطلنطِس هذا، كما يوضح من بعدُ أفلاطون في كتابه كريتياس، كان تلك الأرض التي خصَّت الآلهة بها بوسيديون (إله البحر)، حين توازعت تلك الآلهة الأرض (فيما بينها). وكان على ذاك الجانب من تلك الأرض المواجهة للبحر سهلٌ واسع يحدُّه من الطرف الآخر جبلٌ صغير يسكنه رجل اسمُه إفنور وزوجته لوكيب وابنته كليتو. وحصل ما كان مقدَّراً: أحبَّ الإله بوسيديون ابنة الإنسان كليتو، فعزل تلك المنطقة التي كانت تسكنها عن سواها بحيث لم يعد بوسع أحد سواه الوصول إليها، وتزوج منها، فأنجبا خمسة أزواج من التوائم الذكور، قُسِّمت أطلنطِس فيما بينهم. وكانت حصَّة كبيرهم، ذاك المدعو أطلس، أرض والدته وأكبر تلك الجزر؛ أما أشقاؤه فقد أضحوا ملوكاً على باقي الجزر المحيطة التي صارت تؤلف، مع جزيرة أطلس، تلك الحضارة العظيمة.
وقد كانت فعلاً، كما تمَّ وصفها، حضارة عظيمة... حيث استخرج الأطلنطيون من أعماق الأرض المعادن الثمينة المعروفة، كالنحاس والذهب، وغير المعروفة، كتلك المادة المشعَّة التي يدعونها بالأوليغارخ، وجلبوا البضائع بفضل تجارتهم مع البلدان الأجنبية، وأتقنوا صناعة الخشب والبناء، وروَّضوا جميع أنواع الحيوان ودجَّنوها، وكانت لهم زراعة متطورة. وأيضاً...
بنوا الهياكل والقصور والمرافئ والجسور؛ وقد كانت جسوراً عظيمة وَصَلوا بواسطتها بين جزرهم ومدُّوها فوق أنهارهم ومنخفضاتهم. كذلك شقُّوا الأقنية والترع العظيمة بين مدنهم، بحيث كان بوسع أكبر السفن أن تفرغ بضائعها حيث تشاء.
وقد كانت كلُّ منشآتهم من الحجارة المحلِّية ذات الألوان البيضاء والسوداء والحمراء؛ وكانوا يتفننون في زينتها، وخاصة منها في تلك المدينة التي كانت أكبرها، تلك العاصمة التي كان اسمها أيضاً أطلنطِس، والتي كانت جدرانها مزيَّنة بالفضة والأوليغارخ، مما جعلها مشعَّة.
وفي وسط هذه المدينة العظيمة كان يقوم هيكل مهيب، محاط بسور يمنع أي متطفل من بلوغه، ومخصص لكلٍّ من بوسيديون وكليتو؛ وفي وسطه كان هيكل آخر، في غاية الروعة والجمال، مخصصاً فقط لبوسيديون الذي كان تمثاله ينتصب واقفاً فوق عربته. وأيضاً كانت تحيط بهذا الهيكل عشرة تماثيل تمثِّل أبناء بوسيديون العشرة، وتحيط الينابيع بالهيكل، وتمتد الحمامات على طول الطرق الواصلة إليه والمؤدية إلى ذلك المرفأ العظيم، حيث كانت تتزاحم السفن والبحارة والتجار من كلِّ حدب وصوب...
لقد كانت تلك البلاد حقاً، كما وصفها أفلاطون، أقرب إلى الجنَّة منها إلى الحقيقة: مناظر طبيعية خلابة، حيث يتداخل البحر وبعده اللامتناهي بالسهول والجبال الشاهقة؛ وأقرب إلى المثالية من حيث وصفه للنظام الاجتماعي السائد وفق مفاهيم ذلك الزمان. فقد كانت جزيرة أطلنطِس مقسَّمة إلى ستين ألف إقطاعية متساوية من حيث المساحة والموارد، وكان حكامها ملزمين بأن يقدِّموا بشكل متساوٍ ما تحتاجه البلاد من جند وسفن لجيوشها وأساطيلها. وأيضاً...
كان ملوك تلك البلاد العشرة يحكمون ممالكهم وفق شريعة بوسيديون حكماً مطلقاً وعادلاً، حيث لم تكن قوانينهم تسمح لهم بالاقتتال فيما بينهم، وإنما تحضهم على التشاور لما فيه المصلحة العامة.
وقد بقيت الحال هكذا عدة أجيال، كان الناس خلالها مسالمين وخاضعين، من خلال حكمتهم، للآلهة وللشرائع، مكتفين بما لديهم، بعيدين عن الجشع. ولكن...
تدريجياً، على ما يبدو، بدأت دماء الآلهة السارية في عروقهم تتحلَّل بسبب تزاوجهم (كبوسيديون) مع بنات الناس، فكان انحطاطهم: "... وغضب زفس [كبير الآلهة] الذي دعا إلى انعقاد مجمع للآلهة، وكلَّمهم بما يلي...".
وتنتهي هنا، بهذه الكلمات، أسطورة أطلنطِس كما أوردَها، 365 سنة قبل الميلاد، أفلاطون، تلميذ سقراط وأحد أكبر فلاسفة الإنسانية على مرِّ العصور. ولكن بماذا كلَّم زفس مجمع الآلهة؟! أغلب الظن أن الكلام عند عتبة السرِّ يندغم في الصمت! ويبدأ معه المستوى الأول من قصتنا من خلال...